بين المعجم والدّلالة
- مظاهر التداخل ومجالات التفاعل-

د. حاج هنّي محمد
جامعة الشّلف

مقدمة:

تعد اللغة ملكة إنسانية تتفاعل مستوياتها، وتتضافر مكوناتها لتحقيق الوظيفة الإبلاغية؛ من خلال ضمان التواصل والتفاهم بين المتكلم والسامع، وذلك من خلال ثنائية اللفظ والمعنى، فالتواصل هو المظهر الاستعمالي الأساسي للغة؛ لأنه كفيل بنقل الدلالات والمعاني بواسطة الرموز الصوتية، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال اتفاق الجماعة اللغوية على مدلول كل لفظ على حدة؛ إذ تحتل الدلالة موقع الصدارة في التحليل اللغوي، ولذلك تحول اهتمام اللغويين من التركيز على تركيب اللغة النحوي إلى ترجمة المفهوم الدلالي؛ وذلك لأنّ الدلالة هي غاية يحققها اللفظ من خلال الوظيفة التي يؤديها ضمن النظام اللغوي، وذلك من خلال تفاعل اللفظ في المستوى المعجمي والمعنى في المستوى الدلالي.

يحاول هذا البحث إبراز جوانب التداخل بين الدرسين المعجمي والدلالي؛ وذلك من خلال تحديد مواطن التفاعل الناتج بين المعجم اللغوي باعتباره مخزوناً مفرداتياً للجماعة اللغوية، وبين المناهج الدلالية الحديثة التي تسعى جاهدةً لدراسة المعنى وفق تصورات ورؤى أفرزها البحث اللساني الحديث، فالسؤال المطروح: ما هي أشكال التلاقح المعرفي بين حقلي الدلالة والمعجم؟ وما هي انعكاسات هذا التفاعل على مستويات الدرس اللغوي الحديث؟

1- الدلالة: لغة واصطلاحا:

أ- الدلالة في تضاعيف المعاجم اللغوية :

ورد في معجم تاج العروس للزبيدي"الدلالة في اللغة العربية مشتقة من الفعل "دلّ" والمراد به الإرشاد إلى الشيء، والتعريف به ومنه "دلّه" على الطريق أي سددّه إليه والمراد بالتسديد: إراءة الطريق"[1].

أمّا الدلالة في لسان العرب، فقد عرّفها بن منظور بالقول:"الدليل ما يستدل به، والدليل الدال، ودلّه على الطريق يدلّه دلالة، بفتح الدال أو كسرها أو ضمها...وأنشد أبو عبيدة:

إنّي امرؤ بالطرق ذو دلالات والدليلي العالم بالدلالة والراسخ فيها "[2].

فما طرحه صاحب لسان العرب من معان للمصطلح في هذا الإطار المعجمي، "نجد أنّها تنصب في المعنى الحقيقي المنحصر في دلالة الإرشاد أو العلم بالطريق الذي يدلّ الناس ويهديهم، ويكون بهذا التعريف يقترب من التصوّر الحديث، مما يعني أنّ المصطلح العلمي (الدلالة) يستوحي معناه من تلك الصورة المعجمية التي رسم معالمها الخطاب اللغوي القديم"[3].

وجاء قي القاموس المحيط:"... والدّالة ما تدلّ به على حميمك، ودلّه عليه دلالة بمعنى؛ سدده إليه وقد دلّت تدلّ والدّال كالهدي"[4].

فيما يبدو أنّ الفيروز أبادي قد ذهب إلى ما ذهب إليه بن منظور في أنّ الأصل اللغوي للفظ دلالة تعني الهدي والتسديد والإرشاد.

وكذلك الحال في (المقاييس) لابن فارس :"دلّ" الدال واللام أصلان:

- إحداهما إبانة الشيء بإمارة تتعلمها .
- الثاني اضطراب في الشيء"[5].

وعن الإمام جار اللّه الزمخشري في مؤلفه أساس البلاغة نلفيه يعرف المصطلح بالقول:"دلّ، ودلّه على الطريق، وهو دليل المفازة وهم أدِلاّؤها، وأدللت الطريق بمعنى: اهتديت إليه ولفلان عليَّ دِلالٌ ودالّة "[6]

وبعد هذه الجولة في المعاجم العربية، أمكن القول أنّ معاني لفظ (دلالة) تمحورت كلها حول مفهوم واحد، ألا وهو الهدى الإرشاد والتسديد.

ب- مفهوم الدلالة في التراث:

وبالمقابل نجد أنّ مصطلح الدلالة عند العرب ظهر في مصنفات عربية قديمة تقترب من ماهية هذا العلم؛ ونلفي ذلك عند ابن خلدون في مقدمته إذ ذكر يقول: "يتعيّن النظر في دلالات الألفاظ، ذلك أنّ استفادة المعاني على الإطلاق من تراكيب الكلام على الإطلاق يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة "[7].

أمّا الشريف الجرجاني فقد قدّم تعريفاً للدلالة في الثقافة الأصولية، وفي ذلك يقول :"الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأوّل هو الدال، والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص وإشارة النص، واقتضاء النص"[8].

وبهذه التعريفات يكون العرب قد عرفوا علم الدلالة منذ القدم؛ وذلك من خلال اهتمامهم المبكر بالظواهر الدلالية ومسائلها، وعلى الرغم من كلّ البحوث الدلالية المتناثرة في تراثنا إلا أنّ ذلك لم يكف أن نطلق عليه نظرية دلالية كما تمّ تناوله في الدرس اللغوي الحديث[9].

2- علم الدلالة:

أ- المصطلح والمفهوم:

يرجع الفضل في ظهور علم الدلالة -كعلم مستقل بذاته- إلى العالم اللغوي الفرنسي ميشال بريل (M.breal) في أواخر القرن 19م، ليعبر عن فرع من فروع اللغة وهو علم الدلالة؛ وهو ذلك العلم الذي يبحث في معاني الكلمات والجمل على حدّ السواء؛ أي في معنى اللغة، "ولعلم الدلالة اسم آخر شائع هو علم المعنى، لاحظ أنّ المرادف لعلم الدلالة هو علم المعنى وليس علم المعاني، لأنّ علم المعاني فرع من فروع علم البلاغة"[10].

ويعود أصل كلمة علم الدلالة للأصل اليوناني (Semantike)، والذي معناه "يعني ويدل"، مصدره (Sema) أي إشارة ثمّ نقل إلى الإنجليزية واصطلح عليه باسم (Semantics)، والهدف منه الوقوف على القوانين التي تنظم المعنى وتكشف أسراره وتبيّن سبل تغيره وأهمّ مظاهر التغير الدلالي.

ب- موضوع علم الدلالة:

يعدّ علم الدلالة أحد المجالات الفرعية للسانيات، وهذه الأخيرة تنقسم بدورها إلى فرعين أساسيين هما "علم اللغة النظري ويشمل عدّة علوم أهمّها: النحو- الصرف- الصوتيات- تاريخ اللغة وعلم الدلالة، أمّا علم اللغة التطبيقي فيشمل تعليم اللغات والاختبارات اللغوية- علم المعاجم والترجمة وعلم اللغة النفسي وعلم اللغة الاجتماعي"[11]، والملاحظ أن بعض الدارسين المتأخّرين يتحفظون في إطلاق مصطلح "علم" على دراسة المعنى والدلالات؛ والمؤكد أنّ نموّ علم الدلالة الحديث مع تشعب مقارباته المنهجيّة وإجراءاته التطبيقيّة جعله قطب الرحى في كلّ بحث لغوي وبخاصة الدرس المعجمي، وبهذا صار أوسع مجالاً من أيّ علم آخر؛ لكونه يتناول بالدراسة المفردات أو المعجم أو المصطلح، كما يشتمل فروعاً عدة من البحث اللغوي منها ما يمتّ بصلة إلى تقنيات صناعة المعاجم أو الدراسة المعجمية، ومنها ما يتعلق بالبحث في معاني الكلمات ومصادرها ومظاهر تغيّر دلالتها في اللغة على محور الزمن.

3- المعجم: مفهومه وعلومه

أ – المعجم لغة:

تفيد مادة (عجم) في اللغة معنى الإبهام والغموض؛ ففي اللسان:"الأعجم الذي لا يفصح ولا يبين كلامه"[12]، "ورجل أعجمي وأعجم: إذا كان في لسانه عُجمة"، ومن ذلك تسمية البهيمة عجماء لأنّها لا تتكلم، وسمّى العرب بلاد فارس بلاد العجم؛ لأنّ لغتها لم تكن واضحةً ولا مفهومةً عندهم[13].

فإذا أدخلنا الهمزة على الفعل "عجم" ليصير" أعجم" اكتسب الفعل معنىً جديداً يفيد هنا السلب والنفي والإزالة قياساً على أشكيت فلاناً: أزلت شكايته"[14]، وعلى هذا يصير معنى: أعجم أزال العُجمة أو الغموض أو الإبهام.

أمّا المعجم من الناحية الاشتقاقية فقد يُراد به اسم المفعول من الفعل أعجم، ويحتمل أيضاً أن يكون مصدراً ميميّاً لنفس الفعل[15].

ب – المعجم اصطلاحا:

هو "كتاب يضمّ أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونةً بشرحها وتفسير معانيها على أن تكون المواد مرتبةً ترتيباً خاصاً إمّا على حروف الهجاء وإمّا حسب الموضوعات"[16].

وهناك من يعرّفه على أنّه "ديوان لمفردات اللغة مرتب على حروف المعجم"[17].

كما عُرف بأنّه: "كل مؤلف مرتب وفق نظام خاصّ يرجع إليه لمعرفة معنى الكلمة أو طريقة لفظها أو هجائها أو استعمالها أو مرادفاتها أو تاريخها أو مستواها الاستعمالي أو تأثيلها أو اشتقاقها أو زمن دخولها في اللغة"[18].

ولقد اختزل عبد القادر عبد الجليل مفهوم المعجم في أنّه "مرجع يشتمل على ضروب ثلاثة:

– الأول: وحدات اللغة مفردة أو مركبة.

– الثاني: النظام الترتيبي.

– الثالث:الشرح الدلالي.

وعلى هذه المرتكزات الثلاثة يقوم المعجم بشكله العام من حيث هو وعاء يحفظ متن اللغة وليس نظاماً من أنظمتها؛ وذلك لأنّ المعنى المعجمي (Lexical meaning) هو جزء من النظام الدلالي العام للغة[19].

إنّ المستوى المعجمي (الإفرادي) يتقاسمه علمان مستقلان أحدهما المعجميات (Lexicologie)، أما ثانيهما فهو صناعة المعاجم (lexicographie) .

جـ– صناعة المعاجم:

وهي"علم يختصّ بتأليف المعجم، ويعنى بجمع الرصيد المفرداتي وتصنيفه وترتيبه وفق نظام ألفبائي أو موضوعي وتعريف المداخل وتوضيحها"[20].

ويعرفها إبراهيم بن مراد بأنّها "مبحث تطبيقي يوافق ما يسمّى (lexicographie) موضوعه البحث في الوحدات المعجمية من حيث هي مداخل معجمية تُجمَع من مصادر؛ ومستويات لغوية ما، ثم تُوضَع في كتاب– هو المعجم المدوّن– بحسب منهج في الترتيب وفي التعريف معين"[21].

أمّا علي القاسمي فيرى أنّ "الصناعة المعجمية تشتمل على خطوات أساسية خمس هي: جمع المعلومات والحقائق، واختيار المداخل، وترتيبها طبقاً لنظام معين، وكتابة المواد، ثم نشر النتاج النهائي، وهذا النتاج هو المعجم"[22].

ومما سبق نخلص إلى أنّ صناعة المعاجم تمرّ عبر هذه المراحل:

1- جمع المفردات اللغوية.

2- ترتيب المداخل وفق ترتيب معين.

3-كتابة الشروح والتعاريف و ترتيب المشتقّات.

4- نشر النتائج في صورة معجم.

د- المعجميات:

هي"علم يعنى بدراسة مفردات اللغة من حيث تصنيفها واشتقاقها ودلالتها، إمّا وصفياً في حالتها الحاضـــرة، أو تاريخيـــاً بالنّظر إلى تطوّر دلالتها، وهو في الأصل فرع من علم الدلالة"[23].

أما إبراهيم بن مراد فتعد المعجميات في نظره "مبحثاً نظرياً يوافق ما يسمّى (lexicologie) موضوعه البحث في الوحدات المعجمية من حيث مكوّناتها وأصولها واشتقاقها ودلالاتها"[24].

ويرى القاسمي أنّ المعجميات "تشير إلى دراسة المفردات ومعانيها في لغة واحدة أو في عدد من اللغـــات، ويهـــتم علـــم المفردات من حيث الأساس باشتقاق الألفاظ وأبنيتها ودلالاتها المعنوية والإعرابية والتعابير الاصـــطلاحية، والمرادفـــات، وتعدّد المعاني"[25].

4- التلاقح المعرفي بين الدرسين المعجمي والدلالي:

إنّ من مستويات اللغة المستويين (الدلالي والمعجمي)، فما العلاقة بينهما؟

يبحث المستوى الأول في قوانين المعنى وأسراره، ويتبين السبل المؤدية إلى تغيير المعنى، والقوانين المتحكّمة في ذلك، معتمدا على البلاغة، والمعجم، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، واللسانيات، وغيرها من العلوم.

أمّا العلم الثاني فيتناول الكلمة إيضاحاً وشرحاً، ليكشف المعنى المعجمي للمفردة، وأهم المعاني السياقيّة الممكنة، ويعتمد في ذلك على الدلالة الصوتية، والصرفية، والنحوية والسياقية.

أ- علاقة علم الدلالة بالمعجم:

يرتبط علم الدلالة بالمعجم فيما يُسمى بالمعنى المعجمي، ويرى المعجميون أنّ هذا المعنى تتجاذبه ثلاثة علوم هي:

علم الدلالة، والمعجميّات وصناعة المعاجم؛ لذا"نجد علماء الدلالة قد فرّقوا بين ثلاث دلالات هي:

1- الدلالة المعجمية.

2- الدلالة النحوية.

3- الدلالة الاجتماعية"[26].

والمقصود بالدلالة المعجمية هنا هو ما تعنيه الكلمة في أصل الوضع؛ وهذا "ما يطلق عليه الدّارسون الدلالة المركزيّة الـــتي يتحقق الإجماع حولها بين متكلمي اللغة الواحدة، فتضمن لهم بذلك التواصل، وهذه الدلالة هي جوهر المـــادّة اللغويـــة المشترك في كل ما يُستعمل من اشتقاقاتها وأبنيتها الصرفية"[27].

أما الدلالة النحوية فهي محصلة العلاقات القائمة بين كلمات الجملة بما تحمله من معانٍ؛ "فالكلمة تكتسب تحديداً وتـــبرز جزءا من الحياة الاجتماعية والفكرية عندما تحل في موضع نحوي في التركيب الإسنادي وعلاقاته الوظيفية"[28]، وهذا مـــا عبّر عنه عبد القاهر الجرجاني من خلال نظرية النظم والتي عرّفها بقوله: "وليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الـــذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرّسوم التي رسمت لك

فلا تخل بشيء منها"[29]؛ ويقصد عبد القاهر الجرجاني بذلك الإشارة إلى المعاني الإضافية التي يصوّرها علم النحو في مختلف أبوابه، كالفاعلية والمفعولية والحالية والنعتية وغيرها.

وتكمن الدلالة الاجتماعية فيما ينتج عن تداول الكلمة في السياقات المختلفة؛ إذ الاستعمال هو الذي يحدّد مدلول الكلمة ويضبط معناها داخل المجتمع، فعبارة "فلان كثير الرماد" توحي في العرف الاجتماعي الجاهلي بالجود والكرم؛ لأنّها اكتسبت هذه الدلالة في البنية الاجتماعية للعرب في عصر أنتجها وفق ظروف اجتماعية وحضارية خاصّة، فلو قيلت في عصرنا لاختلف معناها عن المعنى الأوّل لأنها صارت تحمل معنىً مغايراً أفرزته المعطيات الاجتماعية والثقافية لعصرنا، والحال نفسه بالنسبة للكلمات التي تغير مدلولها نتيجة أسباب اجتماعية أو ثقافية أو نفسيّة.

ومما سبق تتجلّى الصلة الوثيقة بين المعجم وعلم الدلالة؛ فعلم الدلالة يستند إلى مبادئ المعجمية للوصول إلى معاني الكلمات، سواء تعلّق الأمر بالدلالة المركزية أو الدلالة الهامشية.

ب – المعنى ومكانته في المعجم:

إنّ اللغة هي آلة الفكر وخادمه تتّسع وتتّسع حتى لا يمكن أن يحيط بها لسان واحد ولا عصر واحد، ولذا كانت الحاجة ماسّة لصناعة معجم صيانة للثروة اللفظية من الضياع، وجمعاً لمفردات اللغة، ومحاولةً لإحصائها وشرحها والنّص على معانيها والاستشهاد لها بمختلف الشواهد الشعرية والنثرية، كما هو الحال بالنّسبة لنشأة المعجم اللغوي العربي؛ الذي كان ظهوره خدمة لغايات دينيّة وأخرى لغوية.

وتبقى الوظيفة الأساسية للمعجم هي شرح معاني المفردات؛ لأنّ "المعاجم اللغوية تثبت شرح ألفاظ اللغة، وكيفية ورودها في الاستعمال، بعد أن ترتبها وفق نمط معين لكي تسهل العودة إليها لمعرفة المستغلق من معانيها، وتحت هذا النّوع تندرج تحته معظم معاجمنا القديمة"[30].

ولقد حصر المعجميون أهمّ وظائف المعجم فيما يأتي:

1- ذكر المعنى.

2- بيان النطق (ويدخل فيه التقسيم الموضعي وموضع النبر).

3- تحديد الرسم الإملائي أو الهجاء.

4- التّأصيل الاشتقاقي.

5- المعلومات الصرفية والنحوية.

6- معلومات الاستعمال.

7- المعلومات الموسوعية[31].

ولقد ورد المعنى في مقدمة الوظائف التي يؤدّيها المعجم اللغوي، وهذا ما تؤكده هذه الدراسة الميدانية[32]:

الرتبة	معجم أحادي اللغة- ابن اللغة	معجم أحادي اللغة- مخصّص للأجنبي	معجم ثنائي اللغة- يبدأ من اللغة الأجنبية
1	المعنى	المعنى	المعنى
2	الهجاء	النحو	النحو
3	النطق	المرادف	الاستعمال في السياق
4	المرادف	الهجاء	الهجاء
5	ملاحظات الاستخدام	النطق	المرادف

6	الأصل الاشتقاقي	التنوّع اللغوي	النطق
7	-	الأصل الاشتقاقي	الأصل الاشتقاقي

ومن خلال الجدول يتضح أنّ المعنى احتلّ الصدارة في كلّ الأنواع، بينما جاء التأصيل الاشتقاقي أخيراً في كلّ الأنواع، أمّا النحو فلا مكان له في معجم أبناء اللغة.

ولما كان المعنى أهمّ وظيفة معجمية في بناء المعجم، فإنّ المعجميّين اهتموا بهذا الجانب اهتماماً بالغاً؛ وذلك من خلال عنايتهم بالشرح والتعريف، "والمقصود به شرح المعنى أو بيان دلالة الكلمة أيّاً كان نوعها، ويتّفق علماء اللغة والمعاجم قديماً وحديثاً على أن يكون هذا الشّرح أو التعريف بالمعنى واضحاً لا لُبس فيه ولا غموض"[33].

ولكن المعجميّين يرون أنّ هذه الوظيفة من أشقّ المهام التي تلقى على عاتق واضع المعجم، نظراً لاختلاف المعاجم، وتنوّع الفئات التي يستهدفها؛ فكلّ معجم يختّص بفئة معينة، لذا صار لزاماً على واضع المعجم اعتماد طريقة شرح تناسب القارئ المستهدف، وذلك تحقيقا للغاية التي وُضع من أجلها المعجم.

وخدمة لهذا الغرض الجليل وضع المعجميّون شروطاً عامّة وجب الالتزام بها لتحقيق سلامة الشرح ودقة التعريف، وتتمثل هذه الشروط في:

1- إحكام ضبط نطق الكلمة.
2- ذكر الشائع المشهور من المعاني دون المهجور غير المعروف.
3- عدم استخدام كلمات لم يسبق شرحها في المعجم.
4- عدم استخدام التعريف والشرح الدوري بالمرادف[34].

إنّ تطبيق هذه الشروط بدقّة كفيل بتحقيق مقاصد المعجم، وهي كشف المعنى وتوضيح الدلالة بغية تحقيق فاعلية اللغة ووظيفيّتها.

ولشرح المعنى يعتمد المعجميّون عدّة طرائق، من ضمنها:

الشرح بالتعريف، الشرح بتحديد المكوّنات الدلالية، الشرح بذكر سياقات الكلمة، والشرح بذكر المرادف أو المضاد[35].

ويبقى الهدف من تنويع طرائق الشرح هو إيجاد الوسائل الكفيلة بتوضيح المعنى؛ خدمة للمهارات اللغوية المتمثلة في السمع، والقراءة، والكتابة، والإملاء.

ج- المعجم والعمليات الدلالية:

إذا كانت مهمة المعجم هي إزالة الإبهام وكشف المعنى، فإنّ تحقيق تلك الغاية يولّد تداخلاً بين عدّة مفاهيم دلالية متقاربة، ومن بين المصطلحات الدلالية المتشابهة في هذا الحقل: التعريف، الشرح، التفسير، التّأويل، الترجمة، الحدّ.

فكلّ هذه المصطلحات هي طرق عمليّة تهدف إلى كشف المعنى، وتحقيق الدلالة، ولكن يجدر في هذا الصدد التّفريق بين هذه المفاهيم، وتحديد مجال اختصاص كلّ مفهوم منها على حدة[36].

المصطلح	تعريفه	مادة اختصاصه
تعريف (Définition)	شرح معنى الكلمة بذكر مكوناتها الدلالية أو اشتقاقها أو استعمالها.	مفردة فذة/مفردة ضمن سياق.
حدّ (limite) عند الفلاسفة العرب	قول دال على ماهية الشيء وحقيقته.	الشيء (جنسه وفصوله الذاتية مجتمعه).
شرح (Explication)	توضيح المعاني البعيدة بمعانٍ قريبةٍ مألوفة.	مفردة ضمن سياق/سياق/نص.

تفسير (Exégèse)	توضيح معاني السياق أو النص أو استنباط ما انطوى عليه من أحكام وملابسات.	سياق/نص (في القرآن بخاصة).
تأويل (Interprétation)	استنباط المعاني الخفيّة المسكوت عنها في ظاهر النص أو حَرْفيته.	سياق/نص.
ترجمة (Traduction)	تحويل الكلام من لسان إلى لسان آخر مع المحافظة على المعنى الثابت.	مفردة/سياق/نص.

ومن خلال الجدول نستنتج أنّ التعريف يماثل الحد كما هو شائع في الدراسات الفلسفيّة والمنطقيّة عند العرب، أمّا الشرح فهو أكثر اتّساعاً ليشمل النظام اللّساني ككل، في حين يتّسع مفهوم التفسير لاستنباط الأحكام المفصّلة في النصوص الشرعية، أمّا التأويل فهو كشف للدلالة الخفيّة، وتختص الترجمة بنقل الكلام من لسان إلى آخر مع المحافظة قدر الإمكان على المعنى.

ويتجلّى استخدام هذه المصطلحات في المعاجم اللغوية على هذا النحو:

1- الشرح: توظف المعاجم اللغوية العامة الشرح بصورة كبيرة؛ لأنّ غاية المعجمي هي كشف المعنى وإزالة الإبهام عن المفردات، ولتحقيق هذه الغاية لابدّ من توظيف الرصيد اللغوي المتعارف عليه قصد تبسيط المعاني الغريبة التي يجهلها القارئ.

2- التعريف: ويتجلّى استخدامه في المعاجم المتخصّصة؛ لأنّ المعجم المتخصّص هو لغة الخاصة، فكلماته أحاديّة الدلالة تختّص بحقل معرفي معيّن، لذا يلجأ مؤلف المعجم إلى تعريف المصطلحات بدقة ضماناً لكشف المفاهيم، ولهذا لابدّ أن يُضبط المعجم المتخصّص بالتعاريف الجامعة المانعة لمفاهيم المجال المعرفي المقصود.

3- الترجمة: وتختص بها المعاجم الثنائيّة والمتعدّدة اللغات؛ لأنّها كفيلة بنقل المعنى من لغة المصدر إلى لغة الهدف لأغراض تعليميّة، ولذا يعمد المعجميّ إلى تحويل المفردات بمعانيها المقصودة إلى مفردات تحمل المعاني المماثلة لها في اللغة الأخرى، وهنا يتجلّى دور السياق في تحديد الدلالة.

وممّا سبق يمكن القول أنّ المعجمي يهدف إلى البيان من خلال إيراد المعاني المختلفة للألفاظ، ولا يتسنّى له ذلك إلاّ من خلال اعتماد الوسائل الكفيلة بتوضيح المعنى، سواء من خلال الشرح أو التعريف أو الترجمة.

د- السياق وضبط المعنى:

يدور السياق في عرفه اللّغوي حول معنى البعث والإرسال، ومن ذلك "ساق الله إليه خيراً أو نحوه: بعثه وأرسله، ساق الحديث، سرده وإليك سياقة الحديث"[37].

أمّا السياق اصطلاحاً فهو"ضمّ الكلمات بعضها إلى بعض وترابط أجزائها واتصالها، أو تتابعها وما توحيه من معنى وهي مجتمعة في النص أو الحديث"[38].

وترى النظرية السياقيّة أنّ المعنى لا يتحدّد إلاّ بالنظر إلى السياق الذي ترد فيه الكلمة[39]؛ "فالاستعمالات اللّغوية مرتبطة بالمقام الذي يرد فيه الكلام، والذي يحدّد بواسطة قرائن متعدّدة، ولقد عبّر عنه البلاغيّون القدامى بمقولتهم الشهيرة "لكلّ مقام مقال"[40]؛ فكلمة جذر مثلاً تُفهم بحسب السياق الذي ترد فيه، فهي عند الرياضي بمعنى، وعند الفلاح بمعنى ثانٍ، وعند اللغوى بمعنى ثالث.

ومن هنا يتّضح دور السياق في إيضاح دلالة الألفاظ اللغوية بوصفها مداخل معجمية تتواتر في سياقات مختلفة، "وقد تزداد أهميّة الفرضية السياقية حينما نلاحظ أن التحوّل الدلالي للألفاظ يخضع خضوعاً ملحوظاً إلى ما يضفيه السياق عليها من دلالات قد تبعدها عن معناها التأثيلي"[41].

فالمعجم يبرز الدلالة المركزية لأنّها أساس التواصل، إذ يشترك فيها جميع متكلمي اللغة الواحدة، أما السياق فيوضح الدلالات الهامشية للكلمة؛ لأنّ هذه الأخيرة متعدّدة ومتنوّعة، يخضع تكوينها إلى عوامل لغوية وثقافية وحضارية، ومن هنا يغدو الاستعمال الوظيفي للغة هو المحدِّد لدلالة الكلمة؛ لأنّ اللغة- في أصلها- ما هي إلاّ "وضع واستعمال".

وبهذا المسعى اهتمّت المدرسة اللسانية الاجتماعية التي ساهمت في بروز النظرية التداولية، والتي تنظر إلى كلام الأفراد على أنّه حدث أو فعل كلامي، وهذا المصطلح يعني فيما يعنيه، دراسة الاستعمالات اللغوية وعلاقاتها بمؤوّليها ومفسّريها[42].

فالسياق له أثر بالغ في استنباط معاني المفردات، فلا يتّضح المعنى بدقة إلاّ عندما ترد الكلمة في سياق لغوي تبرزه الوحدات المقالية، وتدعمه القرائن المقامية.

خاتمة:

وكخلاصة لما سبق نستنتج أنّ المعجم وعلم الدلالة يتفاعلان في حقل الدراسات اللغوية تفاعلاً كبيراً، فبينهما أخذ وعطاء؛ وكل واحد منهما يفيد الآخر ويستفيد منه في الآن ذاته؛ فالمعجم يساهم في تحديد معاني الكلمات والتراكيب؛ وذلك باعتبار الألفاظ وحدات لغوية دالّة في نظام، إذ لا يتحقّق معناها إلاّ بالتواضع والاصطلاح.

فالمعجم ما هو إلاّ تسجيل للاستعمالات اللغوية لدى المتكلمين؛ لأنّ مفردات المعجم ليست ركاماً من مفردات لغة ما، بل هي رصيد يستودع فيه المعجميّ جميع السياقات الممكنة للكلمة؛ أي جميع استعمالات المفردة في المجتمع، ومن ثمّ فهو يتيح للمتكلّم إمكانيات واسعة للتعبير، فيستطيع بفضلها التواصل والتفاهم مع غيره.

أمّا علم الدلالة فيساعد المعجم بأحدث النظريات الدلالية التي تمكّن المعجمي من تحديد المعنى؛ وذلك عبر طرائق ومناهج وآليات تستغل الجوانب النفسية والفلسفية والاجتماعية للإنسان، وطرق إدراك المعنى.

وتبقى الدلالة المعجمية أفضل الدلالات الأخرى؛ لأنّ المتكلّم لا يستطيع التعبير عن مقاصده ما لم يتمكّن من أبجديات التواصل، والتي تتمثّل أساساً في دلالة الكلمة خارج السياق.

إنّ التّلاقح المعرفي بين المعجم وعلم الدلالة ينبغي أن يولّد نوعاً- أو بالأحرى- أنواعاً ملائمةً من المعاجم تمتاز بإيضاح المعاني، وتقريب دلالات الألفاظ، وتحديد المصطلحات؛ مع الحرص على المحافظة على القيمة التداوليّة للكلمة.

كما ينبغي تخصيص معاجم مرحلية دلالية تتناسب وعمر المتكلّم ومستواه الإدراكي، مع مراعاة حجم المادّة اللغوية، واختيار المنهج السّهل والمناسب في ترتيب المادّة اللغوية، بالإضافة إلى استثمار أنجع نظريات علم الدلالة لبناء معاجم تواكب المستجدّات الحضارية والكشوفات العلمية.

الهوامش:

1 – تاج العروس، مرتضى الزبيدي، طبعة الكويت، ج28، ص497 -498.

2 – لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، 1968 م، ج1، ص:284.

3 – علم الدلالة- أصوله ومباحثه في التراث العربي، عبد الجليل منقور، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م، ص:26.

4 – القاموس المحيط، الفيروز أبادي، دار العلم، بيروت لبنان، ج3، ص:377.

5 – معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ضبط وتحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1942م، ج:2، ص195.

6 – أساس البلاغة، الزمخشري، دار الفكر، لبنان، 2004، ص196

7 – المقدمة، ابن خلدون، الدار التونسية للنشر، 1984، ص:419.

8 – التعريفات، الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص:215.

9 – ينظر: علم الدلالة بين القديم والحديث، أحمد عزوز، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، 2007، ص: 31-32.

10 – علم الدلالة (علم المعنى)، محمد علي الخولي، دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،2001، ص:13

11 – علم الدلالة العربي- النظرية والتطبيق، فايز الداية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1988، ص:6.

12 – لسان العرب، ابن منظور، ج:12، ص:389.

13- ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

14- ينظر: الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب، القاهرة، ج:3، ص:75-76.

15- ينظر: صناعة المعجم الحديث، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط:1، 1418هـ-1998م، ص:20.

16- الألمعية في الدراسات المعجمية، العمري بن رابح بلاعدة القلعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، ومركز الثعالبي للدراسات والنشر والتراث، د ت، الجزائر، ص:33.

17- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إخراج: إبراهيم أنيس وآخرون، مطابع دار المعارف، ط:2،1973م، ج:1، ص:615.

18- معجم المصطلحات اللغوية، منير رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين، ط:01، 1990، ص:281.

19- المدارس المعجمية- دراسة في البنية التركيبية، عبد القادر عبد الجليل، دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط:1، 1999م-1420هـ، ص:37.

20- المعاجمية العربية- قراءة في التأسيس النظري، الجيلالي حلاّم، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران،1997، ص:06.

21- مسائل في المعجم، إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1997، ص:31.

22- علم اللغة وصناعة المعجم، علي القاسمي، مطابع جامعة الملك سعود، ط:2، 1411هـ- 1991م، ص:3.

23- المعاجمية العربية- قراءة في التأسيس النظري، الجيلالي حلاّم، ص:6.

24- مسائل في المعجم، إبراهيم بن مراد، ص:31

25- علم اللغة وصناعة المعجم، علي القاسمي، ص:3.

26- ينظر: محاضرات في علم الدلالة، خليفة بوجادي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط:1، 2009، ص:96.

27- علم الدلالة العربي- النظرية والتطبيق، فايز الداية، ص:20.

28- المرجع نفسه، ص:21.

29- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1981، ص: 112.

30- المعاجم العربية- رحلة في الجذور، التطور والهوية، عزة حسين غراب، مكتبة نانسي دمياط، 2005، ص:37.

31- ينظر: صناعة المعجم الحديث، أحمد مختار عمر، ص:115.

32- ينظر: المرجع نفسه، ص:116.

33- مقدمة لدراسة التراث المعجمي، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003م، ص:23.

34- المرجع نفسه، ص:24.

35- ينظر: صناعة المعجم الحديث، أحمد مختار عمر، ص:121.

36- تقنيات التعريف بالمعاجم العربية المعاصرة، حلاّم الجيلالي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999، ص:42-43.

37- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إخراج:إبراهيم أنيس وآخرون، ج: 1، ص:465.

38- الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش المصطفى، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، ط:1، 2007، ص:52.

39- ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط:5، 1998م،ص:68.

40- علم الدلالة بين القديم والحديث، أحمد عزوز، ص:95.

41- مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص: 160.

42- الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية ق 4 هـ، صلاح الدين زرال، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط:1، 1429هـ -2008م، ص: 204.